لغة العرب

مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية

الجزء ٩ من السنة ٢ عن ربيع الثاني سنة ١٣٣١ — آذار ١٩١٣

﴿ صرعى الكتب والمكتبات في العراق ﴾

Bibliomanes et Bibliophiles de Mésopotamie.

لا يعرف على التحقيق الزمن الأول الذي دوّنت الكتب فيه واقتناها الناس على هذه الصورة اوما يشبهها حسب اختلاف العصور غير انا نعلم انه قد قارَن عهد وجود الكتب وجودُ اناسٍ فتنوا بها وسحرتهم فبالغوا في جمعها وفي الضنة بها وقد تأنقوا في نسخها ووراقتها وتجليدها وتنضيدها وتحليتها بما لامزيد فوقه. وربما كان بعض جماعة الكتب من غير قرائها ولا من المتدبرين لها ولكنه اولعَ بها فوجد مع جهله لذّة في اقتنائها وارتياحاً الى الازديادِ منها وطيب نفسٍ لا للاستفادة ولكن لمجرّد انفتاحها وانطباقها واللهو بها كما كان يفعل احد جماعة الكتب من الفرس في النجف على عهد غير بعيد وقد كانت اليد الطولى للفرس في بث روح المغالاة بالكتب بين اهل العراق وذلك على عهد هبوطهم هذه الديار وانتيابهم اياها لطلب العلم او للمجاورة وفيهم اولاد العلماء والملوك واهل الجاه والثروة فحملوا الينا خزائن الكتب من بلادهم غير ماجمعوه بعد تمكنهم في

هذه البلاد وغير ما حمل اليهم من بلاد الهند وغيرها. هذا غير ما كان لإيران من الفضل في طبع الكتب التي لا تقع تحت حصر من علمية على تشعب فنون العلم ودينية على اختلاف فروع الدين وكلها تحمل الى العراق اوالى النجف حيث اطمأن العلم والعلماء وشيدت المدارس وانشئت بيوت الكتب الكبيرة فاقدم اذ ذاك عامة الناس على ابتياعها وكان قد نبغ اثناء ذلك قوم معروفون أُولعوا بجمع الكتب وشغفوا بحبها وبينهم فريق من ابناء الملوك والعلماء وذوو الاسر والبيوت الاصيلة. وآخرون من الدهماء خلقوا لنصرهم الكتب فعكفوا على نشدانها وطلبها من مظانها فتيسر لهم جمع ماليس باليسير منها ومن هؤلاء من ادركناهم في زماننا هذا كالشيخ « الملا باقر التستري » المتوفى في النجف سنة ١٣٢٩ فانه كان مفتوناً بجمع الكتب فتنة قلّ ان تعهد في غيره. وكان اذا قدّم الى « معرض الكتب » في النجف كتاب مخطوط بذل النفس والنفيس في سبيله على قلة ذات يده وربما تملق لمن ينافسه في الكتاب تملقاً لامزيد عليه حين « المناداة » على بيعه وقد يقبل المنافسَ ويتعلق به ليتركَ لهُ طلبهُ. قال بعضهم نافسته يوماً في كتاب و « المنادي » ينادي عليه فسألني تركه فما كان منه الاّ ان امسكني بيده قائلاً وقد تغيرَ: أما تخشى الله؟ وله نوادر جمة في باب اقتناء الكتب وقد جاور زماناً بمكة واتصل بالشريف هناك واقتنى قسماً من كتبه المخطوطة فيها. وله الى ايران رحلات كان اهمّ مايحمله عليها جمع الاثار ولقد حصل باجتهاده على امهات الكتب النفيسة القديمة على اختلاف موضوعاتها وقد شاهدنا بينها كتب الدين والفلسفة

والفلك والرياضيات والشعر والتاريخ والعربية وكان اذا اقتنى كتاباً كتب عليه بخطٍ بديع «للحقير محمد الباقر» وخط معروف يشار اليه عند الصحفيين وفي اسواق الكتب ومعارضها ولما عرضت كتبه للبيع سنة ١٣٢٩ وكان فيها اكثر من الف مجلد مخطوط نودي عليها عدة اسابيع وكنت ممن يحضر المناداة فشاهدت فيها شاهدت مايدهش المتأمل من آثار نادرة في بابها ونفائس مخطوطات قليلة الوقوع حتى في امهات بيوت الكتب الكبيرة في العالم وذلك مثل كتاب « مشارق الانوار » للقاضي عياض الذي كان يظن انه اصبح اثراً بعدعين وكتاب « العين » للخليل الفراهيدي وكتاب « الزينة » لابي حاتم وكتاب « غريب ابي عبيدة » وكتاب « طبقات القرآء » وشرح « تذكرة الطوسي » في الفلك للخفري وشرحها ايضاً للسيد الشريف وقد ملكتها و« القول المأنوس » وهو وجيز حاشية على القاموس وغير ذلك من شواذ الاسفار الكبيرة التي لم تمثل بعد للطبع كبعض مؤلفات الثعالبي المعروف ووقفت ايضاً بين كتبه على كتاب « وفيات الاعيان » بخط مؤلفه قاضي القضاة ابن خلكان هذا عدا مالا اقدر ان آتي عليه في هذه العجالة وبالجملة ذهبت كتبه بثمن بخس وبيعت بصفقة خاسرة. ولو نودي على هذه الكتب في اسواق الغرب لذهبت بزنتها ذهباً على ان مبتاعها غير مغبون.

وممن عرف في النجف من الغلاة في اقتناء الكتب العالم المحدث الكبير الشيخ « ميرزا حسين النوري » الطهراني المتوفى قبل اثنتي عشرة سنة تقريباً فقد كان متعلقاً بجمع المخطوطات متفانياً في احراز

نفائس الآثار وله نوادر غريبة في هذا السبيل تدل على شديد افتتانه وعظيم بلائه بها منها انه وجد يوماً في سوق من اسواق كربلاء كتاباً كان ينشده عند امرأة فاستباعها واستامها عليه فارضاها ويظهر انه كان ذاهلاً لغيوره نبهاً على ضالته فانه لما اراد ايفاءها ثمن الكتاب لم يجد عنده شيئاً ولكنه بادر فخلع حلة ثمينة كانت على منه وباعها في سوق كاسدة بثمن تافه يسير واخذ الكتاب من صاحبته بهذه اللجاجة الغريبة وبالجملة كانت خزانة كتبه من احفل خزائن الكتب الكبيرة ويحكى انه كان في جملة مخطوطاتها الف مجلد عليها خطوط مؤلفيها وهذا مما لم يتفق حتى في خزائن كتب الملوك في القرون الاخيرة فانا نعرف اميراً من امرآء الهند لم يجمع غير سبعمائة مجلد عليها خطوط المؤلفين وقد كان رحمه الله مصلحاً سالكاً سبيل السلف الصالح وعالماً مؤلفاً حريصاً على نشر العلم ولذلك لم يوصد باب خزانته في وجوه الطلاب ولم يمتنع ان يعير كتبه من يستفيد بها من الناس كما يفعل كثير ممن كنز الكتب وقبض عليها قبضة الشحيح وخصوصاً العامة من جماعتها فانهم لم يذوقوا لذة العلم ولا حلموا بالمعرفة ليهون عليهم بذل اسفارهم في سبيلها وعلى العكس من ذلك رجل صرعته الكتب وهو قد رضع افاويق العلم وخلصت نيته في نشره فانا كثيراً ماسمعنا عن السلف الصلحاء انهم حبسوا كتبهم حبساً عاماً على من ينتفع بها من الناس ويؤثر عن بعضهم قوله :

ان زكاة الكتاب عاريته

ويوجد اليوم في النجف من العلماء المطبوعين على حب الكتب

ولفقد الآثار الجامعين لها جماعة منهم الشيخ الفاضل الرفيع القدر الغريب الصبر والثبات « الشيخ علي » من آل كاشف الغطاء وهو الرجل الذي لا يرى الا مجداً في النسخ والتاليف اوعاكفاً على المطالعة اولهجاً بجمع الكتب وذكرها يقص عليك احاديثها ويصف لك مظانّ وجودها ويترجم لك احوال صرعاها وجماعتها وقد كانت نفسه الكبيرة حملته على الرحلة فجاب بلاد الفرس وبلاد الترك وبلاد مصر وسوريا والحجاز ولم تكن رحلته هذه رحلة تسلية وتفكهة لانها كانت اشبه برحلات متتبعي العلم والرواية من السلف الصالح فانه كان اذا حط رحله في بلد وجه همه الى زيارة معاهده العلمية والوقوف على دور كتبه المهمة هكذا كان في مصر والشام والاستانة وقد التقى في هذه العاصمة اللغة التركية فشافه كبار ساستها وعلمائها ولم يبق فيها بيتاً من بيوت الكتب الا زاره واستفاد منه وكان اذا اعجبه كتاب لم يكبر عليه نسخه واكتنابه وان كبر كما فعل يوم كان في الاستانة فانه انتسخ فيها لنفسه بنفسه اسفاراً جمة منها كتاب « شرح ابي تمام على مهاجاة جرير والاخطل » وقد وجده منتسخاً بالخط المغربي القديم وهو خط معمى يجهل المشارقة تهجئته فعكف اياماً على تفهمه ومحاكاته بقلمه حتى اتقنه فلم يصعب عليه بعد ذلك انتساخ الكتاب ونسخ ايضاً ديواني « مهيار » و « كشاجم » ولم يكونا يومئذٍ مطبوعين وبفضله طبع الاخير على نسخته التي انتسخها لنفسه وهمته في الصبر على الكتابة مشهودة حتى انه تناول كتاب « امالي القالي » قبل طبعه وعكف على نسخه في عدة اسابيع وكان الوباء منتشراً حيث اقام فلم يعقه ذلك عن مقصده

ومما نسخه لنفسه كتاب «نسمة السحر في من تشيع وشعر» وهو كتاب نادر الوجود قل من سمع به ونسخ كتاب «رسائل ابن العميد» الكاتب المعروف وهو يقع في مجلد ضخم ونسخ غير ما رأيت بهمة غريبة وجد متواصل حتى انه لو اقتصر على ما ورّثه بيده لحصل على خزانة كتب حافلة لكنه لم يقتصر على ذلك واخذ يتطلب الكتب النادرة و يبتاعها وساعده على نجاح قصده تجواله في البلاد فاشترى من الاستانة وغيرها من البلاد التي عرج عليها كتباً نفيسة مخطوطة ومطبوعة فاجتمعت له خزانة كتب لا تزال من امهات خزائن الكتب العربية وفيها المخطوطات الكثيرة في كثير من الفنون و بعض نسخها قل ان يعرف لها ثانٍ مثل ديوان الشاعر المشهور « الحسين بن الحجاج » العراقي صاحب الدعابة والمجون ومثل كتاب (الطراز) في اللغة للسيد علي خان الاديب المعروف صاحب سلافة العصر وانوار الربيع وديوان (مهيار) الديلمي تاماً او قريباً من التمام وديوان السيد الشريف المرتضى وعشرات من اسفار العلم والادب الشاذة سلف ذكر بعضها ثم انه لم يقف عند جمع الكتب والتقاط آثارها او انتساخها بقلمه فعكف على الكتابة في الادب والتاليف فيه وقد نجز إلى الان من مؤلفاته كتاب (فصل الخطاب في الكتابة والكاتب والكتاب) مخطوطاً في مجلدين ضخمين وهو كتاب جامع لم يسبق مؤلف الى افراغه بهذا القالب البديع وقد استعان على تأليفه بما وفق لجمعه ونسخه من الكتب وبما حدث على عهده اوما قبله بقليل مما يدخل في موضوع كتابه وقد ملحه بشذرات من الكتب العلمية الحديثة فجاء كتاباً ممتعاً جامعاً لفنون المعاني حافلاً بضروب المقاصد وقد استمالني منه فصل معجب جاء

المؤلف فيه على وصف دور الكتب التي وقف عليها اوانتهى اليه وصفها سواء كانت في بلاد العراق بلاده اوفي غيرها من البلاد التي جابها في رحلته وقد كان بودنا ان ننقل هذا الفصل عن هذا الكتاب لكان مناسبته لموضوع المقالة لولا انّ ضيق نطاق الوقت حال دون ذلك ونحن اذا عنت الفرصة فاعلون. ومن مؤلفات هذا الشيخ الكبيرة التي وقف لها حياته كتاب (طبقات الشيعة) على اختلاف العصور وعلى تباين الاحوال فمن طبقات رواتهم ومحدثيهم وحملة اخبارهم الى طبقات علمائهم وكتابهم وشعرائهم وطبقات ملوكهم ووزرائهم وامرائهم وقد نجز الى الآن قسم كبير منه يقع في عدة مجلدات وهو دائب السعي ورآء اتمامه متصل الاجتهاد في سبيل انجازه واذا تم كان اكبر خدمة لهذه الطائفة الاسلامية العظيمة الشان التي قلما انصرف رجالها وخصوصاً المتأخرين منهم الى وجوه التاريخ وتدوين آثار اسلافهم ومعاصريهم انصراف اهل السنة من اخوانهم المتقدمين والمتأخرين وبالجملة ان حياة هذا الرجل حياة جدّ وعمل متصلين ونعمت الحياة. ومن صرعى الكتب في النجف اليوم الشيخ (محمد علي الخونساري) فانه مبالغ في اقتناء الكتب وخصوصاً النادر منها وقد جمع عدداً غير يسير منها ومن مخطوطاته قسم كبير في الفلسفة القديمة ومنهم السيد (محمد) اليزدي فان لديه خزانة كتب خطيرة حوت كثيراً من الامهات مثل كتاب (غريب ابي عبيدة) مخطوطاً في القرن الخامس على ما اظن وكتاب (المجمل) في اللغة لابن فارس وغيرها كثير.

ومن عشاق الكتب في العراق وجماعيها السيد « حسن صدر الدين

العاملي » العالم المعروف في الكاظمية فقد انشأله طلبه الحثيث لها خزانة كتب مهمة بينها قسم كبير من الآثار النادرة ككتاب « العين » وكتاب « الجمهرة » لابن دريد فيها وكتاب « طبقات القرآء » ولا نعرف لمن هو فقد الف جماعة من العلماء في هذا الباب وفيها غير ذلك من نفائس المخطوطات والرجل ممن اشتهر بالتآليف وقد نجز إلى الآن على يده كتاب « تاسيس الشيعة » وهو كتاب تاريخي ادبي جم الفائدة بعثت صاحبه الغيرة على الطائفة فالف كتاباً دل به على سبقها الفرق الاسلامية في التآليف واتباعها قبلها الى تأسيس العلوم والفنون ولا يزال كتابه هذا مخطوطاً وبسعي مؤلفه طبع كتاب « المجازات النبوية » للسيد الرضي في بغداد سنة ١٣٢٩ وللسيد هذا غير ذلك الكتاب مؤلفات في الموضوعات الدينية والتاريخية ويوجد اليوم في هذه البلاد رجال آخرون من صرعى الكتب لم نذكرهم لضيق المجال

النجف محمد رضا الشبيبي

﴿ طيزناباذ القديمة ﴾

١ ـ تمهيد البحث

نقدم القول عن موقع اطلال طيزناباذ في الزمن الحالي وآراء الباحثين ممن اشتهروا بطول الباع وبعد النظر في المسائل الاثرية فيما كان لهذه المدينة القديمة العهد في القرن الماضي من الآثار الخطيرة المؤيدة لحدودها والناطقة بخطورة شانها هذا بعد ان اشبعنا تلك الاقاويل حججاً دامغة · وبراهين قاطعة وهل هناك ادلة وامارات اقطع من تلك الادلة والامارات، لان بعدها